



محاسبة النفس

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الله سبحانه بين في القرآن أن نفس الإنسان علي ثلاثة أنواع :

النوع الأول : النفس الراغبة في المعصية التي لا تفكر إلا في متعتها يقول تعالى { إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ } [يوسف: 53]

النوع الثاني : النفس الراضية المطمئنة التي وصلت أعلى درجات الإيمان ونالت رضوان الله وجنته يقول تعالى { يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (27) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (28) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (29) وَادْخُلِي جَنَّاتِي (30) } [الفجر: 27 - 30]

النوع الثالث : النفس اللوامة التي تنقل صاحبها من ظلمة الشهوة إلى نور الطاعة التي تحول النفس الأمارة بالسوء إلى النفس المطمئنة يقول تعالى { وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ } [القيامة: 2] هذه النفس التي تلوم صاحبها وتحاسبه على أفعاله لماذا فعلت؟ ولماذا لم تفعل؟ ذلك لأن محاسبة النفس هي التي تضع صاحبها على الطريق الصحيح وتيسر له سبيل النجاح ولذلك أمر الله المؤمنين فقال : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاسْتَقِيمُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19) } [الحشر: 18، 19] والمقصود حاسبوا أنفسهم وانظروا في نتائج أفعالكم وماذا قدمتم للأخرة ولا تكونوا كهؤلاء الذين نسوا أنفسهم ولم يلزموها بطاعة الله فخسروا دنياهم وآخرتهم، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (الكيس-العاقل- من دَانَ نَفْسَهُ -حاسب نفسه- وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ) رواه الترمذي . فالعاقل هو هذا الذي يحاسب نفسه أما العاجز لا يملك إلا بضاعة الأمنيات لا الأعمال.

إن محاسبه النفس من صفات المؤمنين وخصال الصالحين الذين يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا ويسألون أنفسهم قبل أن يقال لهم {وَقَفَّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (24) } [الصافات: 24] فلم تغب الآخرة من أمام أعينهم يعرفون أنهم لله راجعون وبين يديه سيسألون فيتجهزون للسؤال بصالح الأعمال



إن محاسبه النفس كلؤلة في القلب يخرج منها النور ليضيء للإنسان طريق الحق والهدى فتراه مستعداً دائماً لا تغره الحياه الدنيا ولم ينشغل عن مراد الله منه، يفهم الغاية من وجوده يقول الله في كتابه {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)} {المؤمنون: 115} والله إن القلب الصادق المستتير بنور الإيمان ليهتز لهذه الآية خجلاً و خوفاً من الله.

ولم تقف محاسبه النفس عند حث الإنسان على أداء الشعائر والعبادات أو البعد عن الكبائر لأنها جوهرة الإيمان أو كأنها تاج علي رأس كل مؤمن تدفعه إلي الآفاق وتأخذ بيديه الي وتضع قدمه علي الصراط المستقيم وهو ما يفهم من قول النبي صلى الله عليه وسلم (إِنَّ الْحَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُّشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرعى حَوْلَ الْحَمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حَمَى، أَلَا وَإِنَّ حَمَى اللَّهِ مَحَارِمَهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ.) رواه البخاري ومسلم.

فمحاسبة النفس هي دواء القلب وسبب صلاحه وهي مرشده التي تحركه إلي الخير عباد الله إن العاقل من وعظ نفسه قبل أن يلحق الله، فإياك أن يضيع قلبك منك في مهب الغفلة وقف ملياً وتأمل قول الله {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} {القيامة: 36} . وأعلم أنه من الناس من يحاسب نفسه كل لحظة أو كل ساعة أو كل يوم أو كل عام ومنهم من طبع الله علي قلبه فلا يحاسبها حتي يجدها موقوفه للحساب وحينها لن ينفع الندم فحاسب نفسك قبل أن تحاسب وزن عملك قبل أن يوزن , نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة

كتبه الشيخ تامر صافي حماد مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل